سينما

فرانسوا تروفو على «نتفليكس»
أفلام لا تشيخ «يحبّها» الأميركيون

تعرض المنصّة أفلاماً عدّة لفرنسوا تروفو، فيُستعاد المناخ السينمائي العام للمخرج والناقد، المُشارك في صُنع «الموجة الجديدة» في فرنسا

محمد بنعزيز

تأكيداً لتوجّهها السينفيلي، تعرض «نتفليكس»، الأميركية المنشأ والعالمية الأفق، أفلاماً للناقد والمخرج الفرنسي فرنسوا تروفو (1932 . 1984). أحبّ الأميركيون أفلامه منذ البداية. هذا قوّى شهرته، فمن تحبّه أميركا يحبّه العالم. وجدتُ تفسيراً للهوى الأميركي في قول الكاتب الألماني كارل كراوس: «يحبّ الأميركيون كلّ ما ليس لديهم، خصوصاً الآثار القديمة، ومظاهر الحياة الداخلية».

في هذا السياق، صَوّر تروفو «الجلد الناعم» (1964) و«الليل الأميركي» (1973)، كما صَوّر باريس والحياة الداخلية، وأمْتَع كما فعل في Tirez Sur Le Pianiste عام 1960.

في أفلامه، يفعل رجالٌ أشياء جميلة لنساءٍ جميلات، في علاقة ثلاثية (زوج وزوجة وعشيقة). بفضل معرفة سوسيولوجية ونفسية عميقة بالنساء، كان تروفو ماهراً في صحبة النساء الحداثيات، وفي تصويرهنّ في باريس، المكان الملائم لتصوير الحياة الحميمية لنساء المدن المتحرّرات. هو لا يسرد حكايات باردة، سمعها المتفرّج سابقاً، لأنّه مَلّها، ولن يتفاعل معها.

اهتمّ تروفو بالإخراج، كما عرّفه أندره تاركوفسكي في كتابه «نحت الزمن». الإخراج (Mise en scène) «مُخطّط أو تصميم مؤلّف، من تنظيم الممثلين وتوزيعهم في اتصال بعضهم ببعض، ومع المحيط أو المنظر. يتتبّع الحياة والذاتية المميّزة للشخصيات وحالتها السيكولوجية». هناك حرص كبير على الأسلوب في الموجة الجديدة. لكنْ، رغم ثقافته المفاهيمية، تتميّز أفلام تروفو بسرد منساب، يحترم منطق الأشياء والوقائع التجريبية المُعاشة، ويسترشد بالحدس الفطري الذي يصطاد المتفرّج. سردٌ يلتقط الحياة في طبيعتها، من دون تدخّل، ومن دون قصدية تنظيرية.

صوّر تروفو أفلامه بين عامي 1959 و1983. إنّها فترة سينما المؤلّفين المناضلين، لكنّه لم ينجرف مع تيار النضال، بل حافظ على الحياة الحميمية لشخصياته. في أفلامه، تتوالى أحداثٌ بشكلٍ غير مباشر، وغير قصدي. يسيل في مجرى طبيعي بأقلّ تدخّل ممكن، وبصفر افتعال.

هذا عن معايير النوع الفيلمي، الذي فضّله الأميركيون عند تروفو. أما على صعيد المنجز الفيلمي، فاشتهر بفيلمي «400 ضربة» (1959) و«الطفل المتوحّش» (1970). يحكي الأول قصّة طفل من أسرة باريسية فقيرة، يُعنّفه والده وتُهمله أمه، فتُربّيه جدّته. لذا، لا ينسجم مع والديه.

نتفليكس السينيفيلية تعرض أفلامَ مخرج تُحبّه أميركا

طفلٌ ينام قرب الباب. تزداد هامشيته حين يكتشف أنّ أمه حاولت إجهاضه، فيهجر المدرسة، ويلوذ بالشارع حيث فوجئ بأمّه في وضع أغضبه. لاحقاً، حين سأله المعلم عن سببٍ تغيّبه، أجاب: «ماتت أمي».

في الفيلم، لمسة من السيرة الذاتية للمخرج، الذي عاشت أسرته في شقّة صغيرة، تبلغ مساحتها 35 متراً مربّعاً. ربّته جدّته. طفلاً، أمضى ليلة في مخفر للشرطة. فيلمٌ مشحون بنظرة اتّهام ضد الكبار، الذين يفتقدون البراءة. ينتهي بـ«ترافلينغ» يمتدّ أكثر من كيلومتر، في رحلة الطفل جرياً نحو البحر، من دون أنْ يرى الأفق.

حظِيَ الفيلم باحتفاء نقدي كبير، خاصّة أنّ تروفو كان مُفضّلاً لدى الأب الروحي أندره بازان. حضر مؤسّس النقد السينمائي الحديث اليوم الأول من تصوير «400 ضربة». بفضل الفيلم، حصل تروفو على جائزة الإخراج في مهرجان «كانّ»، عام 1959، فبدأت شهرته العالمية، وتوالت المقالات. هذه حالة تُظهر فوائد النقد السينمائي على المدى الطويل، بالنسبة إلى أفلامٍ يُرحّب بها النقّاد، ويطرونها. تترسّخ سمعة مخرجيها كمراجع سينمائية عالمية.

الفيلم الثاني يحكي عن طفلٍ تربّى في الغابة مع الحيوانات. يذكّر هذا بقصّة حي بن يقظان للفيلسوف ابن طفيل. يتولّى رجل تربية طفل متوحّش، وتعليمه. متوحّش، أيْ غير ناطق. هذا تأكيدٌ أنّ التربية جهدٌ ومثابرة للاكتساب، وليست معطى جاهزاً. الطفل لا يولد ناضجاً ومؤدّباً، بل يجب الاشتغال عليه لصقله. التربية فنٌّ طبعاً.

تروفو من روّاد «سينما المؤلّف». هذا اتجاه فني يرفض السينما التجارية التي تتملّق الجمهور. يحاول تقديم أفلام تفكّر عميقاً في الوجود البشري، وتختبر مختلف الأشكال الفنية في السرد والإخراج. من هذه الزاوية، المخرج الفرنسي معلّم كبير للسينما. والسينما ديوان العصر.

تعزّز موقع تروفو في المشهد السينمائي العالمي كمُنظّر سينما. أعتقد أنّ المخرجين الذين يملكون ثقافة سينمائية، ومقاربة مفاهيمية للسينما، يحصلون على اعترافٍ كبير. تروفو سينيفيليّ كبير. له شجاعة إجراء حوار طويل مع مخرج أفلام، تُحقّق نجاحاً تجارياً هائلاً. حاور تروفو ألفريد هيتشكوك، الذي كانت النوادي السينمائية تخجل من عرض أفلامه، بناءً على وهم أنّه لا يليق بسينما المؤلّف النخبوية تحقيق أرباحٍ في شباك التذاكر.

على مستوى الكتب، اشتهر تروفو بكتابين، يُعتبران مرجعين أساسيين في النقد السينمائي: «أفلام حياتي» (1973)، يحلّل فيه الأفلام التي شاهدها وأثّرت فيه، ويُعدِّد أحلام الناقد السينمائي بأنْ يعيش مرحلة إبداع الفيلم في أثناء الكتابة عنه، وأنْ يكون وسيطاً بين الفيلم والجمهور، ليُفسّر له ما رأى. يحلم بالتعرّف إلى مُخرج يُبدع، وهو يضع نفسه مكان الشخصية لا مكان المنتج أو الجمهور.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

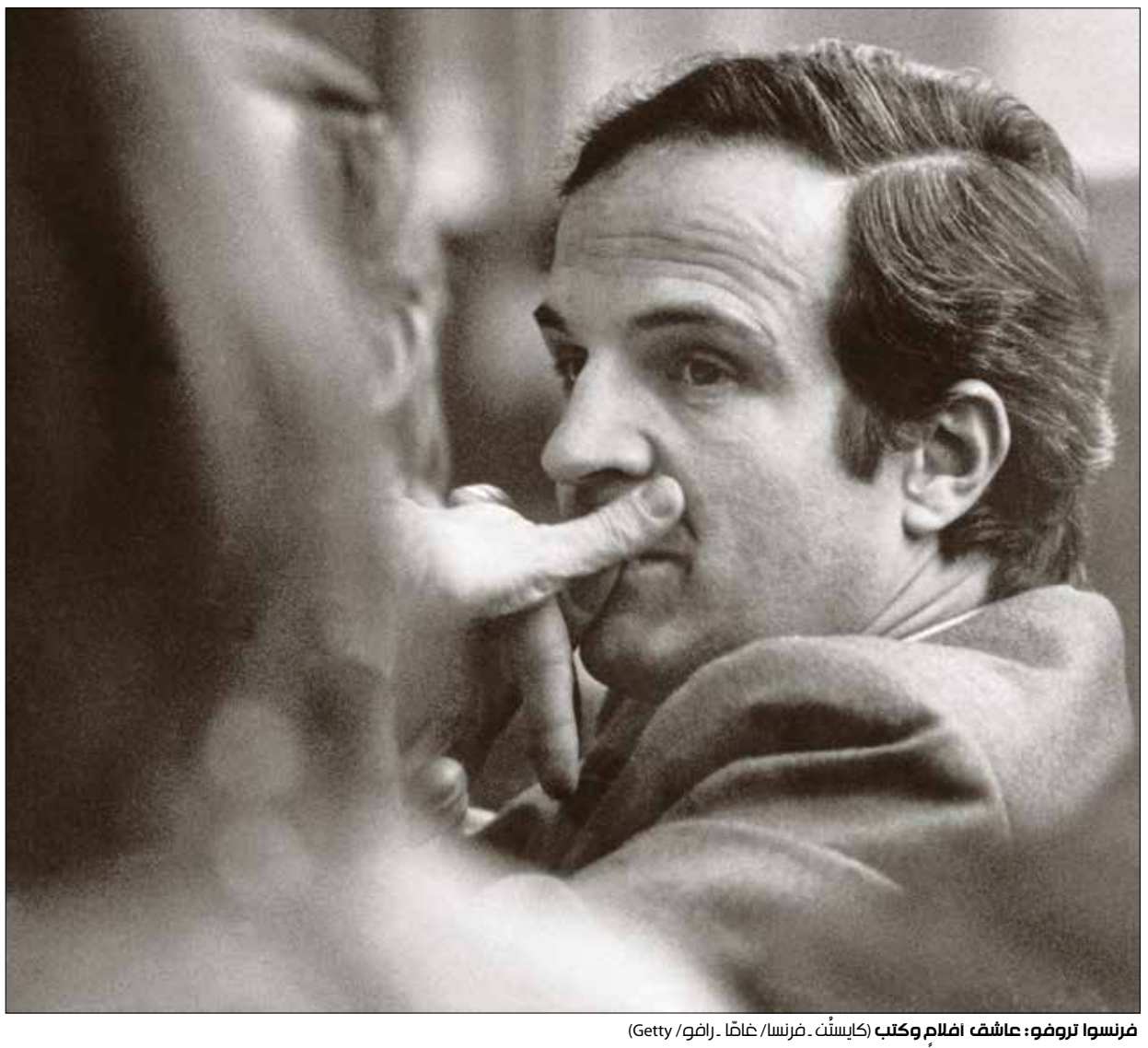
فرنسوا تروفو: عاشق افلامٍ وكتب (كايستْن ـ فرنسا/ غاما ـ رافو/ Getty)

«حلاقة مدرسية» لفَريت كاراهان
أطفالٌ هواة يصنعون جمالاً سينمائياً

فيس قاسم

تبدو المدرسة الداخلية، الواقعة في أقصى شرق الأناضول، كأنْ لا صلة لها بالمكان. بناية مؤلّفة من طوابق قليلة، مُضاءة ومُحاطة بأكوام من الثلج. كلّما ابتعدتْ الكاميرا عنها، بدَتْ أكثر عزلة عن محيطها. وعندما تحرّكَتْ نحوها، وجدَتْ جوّاً متوتّراً فيها، نقلته بحذر. ضحكات التلاميذ الصغار ومرحهم في ممرّاتها يُعاكس خوفاً من معلّميهم ومراقبيهم. بقاؤها هناك يفتح مجازاً سردياً، يكفي لاحتواء حكاية جرت حيث هي، بدت بسيطة في البداية، لكنْ تراكمت طبقاتها سريعاً، وغدت أكثر تعقيداً.

حكاية مرض مومو، الطالب في «مدارس الحدود»، الخاصّة بتعليم أعداد قليلة من الأطفال الأكراد، ما كان لها أنْ تُصبح فيلماً بعنوان «حلاقة مدرسية» (2021) لفَريت كاراهان (1984)، لولا أسلوب كتابتها، المواربِ والمخاتل (سيناريو غوليستان أَسَت مع المخرج نفسه)، الناشد ارتقاءً سردياً بصرياً، يضع حدوداً دقيقة، وخيوطاً عازلة غير مرئية، لإبقاء الموضوع الكردي في تركيا بعيداً عن مركزها. يُقرّبه أحياناً من بؤرتها، كلّما احتاجت الحكاية إلى جرعات حادّة، يُقارب بها مُتَراكَماً دفيناً لمشكلات وتعقيدات عرقية وقومية، ولسلوكيات أفراد جُبلوا على فكرة التفوّق والتحكّم. وجود المدرسة الداخلية وصرامة قوانينها تعبّر عنها، وعقوبة حلاقة رأس الطالب المذنب، عنواناً فرعياً لها، يتّخذه الفيلم عنواناً له بالتركية: «حلاقة مدرسية»، الأقرب والأكثر تعبيراً عن المعنى الداخلي للحكاية، من الاسم التجاري Brother's Keeper، المُشارك في قسم «بانوراما»، في الدورة الـ71 لـ«مهرجان برلين السينمائي»، المُقامة افتراضياً بين الأول والخامس من مارس/ آذار 2021، والحائز فيه على جائزة «الاتحاد الدولي للنقّاد (فيبرسي)».

«حلاقة مدرسية»: نصٌّ سينمائيّ رائع (الملف الصحافي للفيلم)

حلاقة مدرسية أكثر تعبيراً عن المعنى الداخلي للحكاية

في اليوم الوحيد من الأسبوع لاستحمام الطلبة الصغار، تتعالى صيحاتهم ومشاكساتهم. في إحداها، تخاصم طفلان على قطعة الصابون الوحيدة. أزعجت صرخاتهما المراقب، فقرّر معاقبة أحدهما، ميمو (الممثل الهاوي نوراللـه ألاكا)، بحرمانه من الماء الساخن، وتكملة استحمامه بماء بارد. في المساء، شعر بوعكة، فاهتمّ به زميله يوسف (سامِت يلدز). في صباح اليوم التالي، نقل خبر مرضه إلى معلّمه، الذي لم يأبَه بالأمر. تدهور صحّة التلميذ قاعدة تأسّست عليها وتراكمت أبعاد علاقات مختلّة بين إدارة المدرسة وتلاميذها. في الجوهر، هناك اختلالات وتراكمات صراع تاريخي عميق. من طياتها، وكنتاج لها، يتأتّى الحذر الشديد ليوسف، ومن الجو العدائي الذي يحيط به، وخوفه الدائم من الوقوع في شراكه.

العلاقة بين معلّمي المدرسة الداخلية، وجُلّهم من خارج المنطقة، وطلاّبهم، تسلطيّة وقهرية، يسودها إحساسٌ بتفوّق المعلّمين، وأفضالٍ لهم مُقدّمة منهم إلى أطفالٍ أكرادٍ، لولا مدرستهم/ سلطتهم لكانوا . في أحسن الأحوال . رعاة ماشية حفاة فقراء، لا فرصة لهم لتكملة تعليمهم، وتحسين أحوالهم. هؤلاء الأسياد . في التفاصيل الملتقطة بعين سينمائية حسّاسة، تعرف جيداً المكان وخصوصيته (المخرج من أبناء المنطقة الكردية، عاش تجربة مدارس الحدود في طفولته) . يشعر التلاميذ باغتراب، وبثقل مسؤولية وأعباء غير لازمة، فجّرها مرض ميمو. لا أحد منهم يريد الالتفات إلى أمر تلميذ، وُضع في غرفة مهمَلة، سُمّيت مستوصفاً، لا يتوفّر إلاّ على أقراص تخفيف أوجاع الصداع.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ Stowaway لجو بِنّا، تمثيل آنّا كنْدريك (الصورة)، وتوني كوليت ودانيال داي كيم: مركبة فضائية تُغادر الأرض لمهمّة في المرّيخ، لمدّة عامين، يستقلّها 3 أشخاص: القائدة مارينا والعالِمان ليفنسن وديفيد. سريعاً، يكتشفون راكباً متسلّلاً يُدعى مايكل، كان غائباً عن الوعي ويجهل تماماً كيفية وصوله إلى المركبة. خلال تأقلمه مع المركبة ورؤّادها، يكتشف هؤلاء أنّهم باتوا بعيدين عن الأرض، ويصعب العودة إليها، وفي الوقت نفسه لا يوجد أوكسجين يكفيهم جميعاً. هذا يؤدّي إلى قرار بالتخلّي عن أحدهم. لكنْ، من سيكونْ؟

■ The Soul لوي . هاو تشانغ، تمثيل تشينغ تشان وجانين تشون . نينغ تشانغ (الصورة)، وكريستوفر مينغ . شون لي: أثناء تحقيقهما في جريمة قتل تعرّض لها رجل أعمال ثري، يكتشف المدّعي العام وزوجته أنّ هناك أسراراً غامضة ورهيبة وكثيرة مخبّأة، تتعلّق ليس فقط بالجريمة، بل بحياة رجل الأعمال المقتول، وبـ«أسباب» وفاته أيضاً، ما يضعهما في موقف حرج: هل يعلنان الأسرار، أو لا؟

■ Space Sweepers لجو سونغ . هي، تمثيل كيم تاي . ري (الصورة)، وسونغ جوونغ . كي ويوو هاي . جين: عام 2092، أصبحت الأرض غير صالحة للسكن. في الوقت نفسه، يكتشف فريق مركبة فضائية خاصّة بالنفايات، تُعرف باسم «النصر»، روبوتاً بشرياً يُطلق على نفسه اسم دوروتي، هو . بحدّ ذاته . سلاح دمار شامل، ما يدفع الفريق إلى عقد صفقة تجارية معه، لكنّها محفوفة بالمخاطر.

■ Master للُوكِش كاناغاراي، تمثيل مالافيكا موهانان (الصورة)، وفيجاي سيثوباثي وأندريا جيريمياه: تدور أحداث الفيلم عام 2002، وترتكز على ما سيلحق بجريمة قتل يتعرّض لها أفراد عائلة كاملة، ينجو أحدهم منها، لكنّه سيكون الشاهد الوحيد عليها، وعلى مرتكبيها. النجاة الجسدية لن تحمل معها نجاة نفسية، والسياق يتابع آثار تلك الجريمة، والبحث عن فاعليها، بكثيرٍ من التشويق والمطاردات والعنفً.

■ Deadly Illusions لآنّا إليزابيث جيمس (الصورة)، تمثيل كريستين دايفيس ودرموت مولْروناي: تعاني ماري، الروائية المشهورة، من أزمة الصفحة البيضاء. تُقرّر طلب المساعدة من مربيّة للاهتمام بأطفالها. لوهلة أولى، تبدو غرايس كاملة ومثالية، وتجد فيها وحياً للكتابة، بطريقة غير متوقّعة.